حَضَارةٌ مُتجـذِّرةٌ

تمهيـد: لا رَيْـبَ أنّ لِقاءَنا بالحضارةِ الغرْبيّةِ عنْدَ نهايةِ القرنِ الماضِي بِتُـراثٍ يكادُ يَخلُو منْ مُنجَزاتِ الحَضارةِ الحَديثةِ، كانَ لهُ أثرٌ عميقٌ في تَشكيلِ هذهِ الصّورةِ التي حَملتْها إليْنا عوْدةُ الرّوحِ.

غالي شكري، ثورة المعتزل، الهيئة المصريّة العامّة، 1995، ص 148

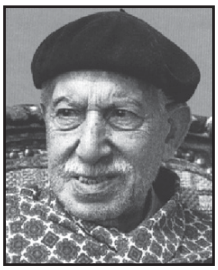

فنظرَ الفرنسيّ إلى الفلّاحينَ، ثم قال مُعْجَبًا:

- ما أجملَ ذوْقَهم! ... لَونُ لباسِهمْ كلونِ سَمائِهمْ! ...

فارتَسَمَتْ على فَم «الإنجليزيّ» ابتسامةُ تهكّم، وقال:

- إنّك تُبالغُ إذْ تَحْسَبُ لهؤلاءِ الجهلاءِ ذوْقا! ...

فأجابَ الأثريّ «الفرنسيّ» بإيمانٍ وقوةٍ.

- جُهلاء!... إنّ هؤلاءِ الجهلاءِ يا «مستر بلاك» أعْلَمُ مِنّا!...

فضَحِكَ «الإنجليزيّ» وقال أيْضا في تَهكّم:

- لأنّهمْ ينامونَ مع البهائمِ في حُجرةٍ واحدةٍ!

فأجابَ «الفرنسيّ» بِجِدّ:

- نعمْ وبالأخصّ؛ لأنّهمْ ينامونَ مع البهائِمِ في قاعةٍ واحدةٍ.

فالتفتَ إليه «مستر بلاك» مُحَدّقًا مُبتسمًا:

- إنّها نكتةٌ ظريفةٌ يا «مسيو فوكيه»!...

فأجابَ «الفرنسيّ»:

- بَلْ حقيقةٌ تَجهَلُها أوروبّا للأسـفِ... نعمْ إنّ هذا الشّـعبَ الذي تَحسَبُه جَاهِلاً لَيَعْلَمُ أشياءَ كثيرةً، لكنّه يعلَمُها بقلبِهِ لا بعقلِهِ!... إنّ الحكمةَ العُليا في دَمِهِ ولا يَعلمُ!... والقُوّةَ في نَفْسـهِ ولا يعلمُ!... هذا شعبٌ قديمٌ: جِئْ بفلاّحٍ من هؤلاءِ وأخرِجْ قلبَهُ تَجدْ فيهِ رواسبَ عشرة آلافِ سنةً، منْ تجاريبَ ومعرفةٍ رسَبَ بعضُها فوقَ بعضٍ وهو لا يَدري!... لا تظنّ يا «مستر بلاك» أنّ هذه الآلافَ منَ السّنِين الّتـي هيَ مَاضي مِصرَ قد انطـوتْ كالحُلمِ ولم تَترك أثرا في هؤلاءِ الأحفادِ... أيْنَ إذَنْ قانـونُ الوراثةِ الّذي يَصْدُقُ حتّى على الجَمادِ؟... ولئنْ كانت الأرضُ والجبالُ إن هيَ إلاّ وِراثةُ طبقةٍ، عن طبقةٍ؛ ولمْ يتغيّرْ شـيءٌ من جَوّها أو طبيعتِها؟... نعمْ

مُحدّقًا: محدّدًا النّظر إليه

تَجاريـب: مفـرده تجربة: الاختبار

إنّ أوروبّا سَــبَقتْ مصر اليــومَ، ولكنْ بماذا؟... بذلك العِلم المُكتسَــب فقطْ، الّذي كانت تعتبرُهُ الشّعوبُ القديمةُ عَرَضًا لا جَوهرًا ودلالةً سطْحيّةً على كنزٍ دفينٍ، لا أنّهُ هو في ذاتِهِ كلّ شَــيءٍ!... إنّ كلّ مَا فَعلْناهُ – نحن الأوروبّيّينَ الحَديثِي النّشأةِ – أنْ سَرقْنا منْ تلكَ الشّــعوبِ القَديمَةِ هَذا الرّمزَ السّطْحِيّ، دُونَ الكَنزِ الدّفِينِ؛ لذلكَ جِئْ بأوروبيّ وافتَحْ قلبَهُ تَجِدْهُ خاليًا خاويًا!... الأوروبيّ إنّما يعيشُ بما يُلقّنُ ويُعَلّــمُ في صِغَــرِهِ وحياتِهِ؛ لأنّهُ لَيْسَ لهُ تراثٌ ولا ماضٍ يُســعِفهُ بغيرِ أن يُعلّمَ!... احْرِم الأوروبيّ مِنَ المدْرَســةِ يصبحْ أجهلَ من الجهلِ!... قُوّةُ أوروبّا الوَحيدَةُ هيَ في العقلِ!... تلك الآلةُ المحْدُودةُ الّتي يَجبُ أنْ نمْلأهَا نَحْنُ بإرَادتِنا. أمّا قُوّةُ مصْر فَفِي القَلْــبِ الّذي لا قَاعَ لهُ... ولهَذا كَانَ المصْريّونَ القدماءُ لا يَملكُونَ في لُغتهمْ القديمةِ لفظــةً يُميّــزونَ بهَا بينَ العَقْلِ والقلــبِ. العقلُ والقلبُ عندَهُــم كان يُعبّرُ عَنْهُما بكلمةٍ واحدةٍ هي: القلبُ!...

وسكتَ الأثريّ «الفرنسيّ» بُرْهةً، ونَظرَ إلى وجهِ «المستر بلاك» ليَتَعَرّفَ أثَرَ ما قال فيهِ، فوَجَدَ مَلامحَ جَامدةً، وشفَتيْنِ تَنفرِجانِ عن ريبةٍ وشكٍّ!...

فاستطرد «الفرنسيّ» يقول:

- «نعمْ يا «مســتر بلاك»!... هَؤلاءِ الفلّاحُونَ لهُم ذوقٌ... وذوقٌ جميلٌ!... وهم لوْ سَــألتَهم عــن كلمةِ ذوقٍ لَجَهلُوا مَعْنَاها... أمّا نَحْنُ فنَعــرِفُ جَيّدًا مَعنَى كَلِمةِ «ذوقٍ»، ولكــنْ ثِقْ أنّ فِينَا عَددًا كَبيرًا ليسَ له ذوقٌ!... نَعمْ هذَا هُوَ الفرْقُ الوَحيدُ بيْنَنا وبيْنَهُم: إنّهُمْ لاَ يَعلَمُون مَا عِنْدهُمْ منْ كُنوزٍ !...»

توفيق الحكيم، عودة الرّوح، ج 2 – دار مصر للطّباعة ص ص 51-52

العَرَضُ: اســم لما لا دوام له

الجوهــر: الكنــه والأصل

تعريفات

أعـلام:

المؤلّف: توفيق الحكيم: (انظرْ التّعريف به في النّصّ التّمهيديّ للمحور الثّاني).

«مســتر بلاك» و«مســيو فوكيه»: شــخصيّتان في النّصّ، أحدهما مفتّش والثّاني باحث تاريخيّ.

الفهم والتّحليل

1 - صيــغَ النّــصّ انطلاقا من رؤيتيْن غربيّتين مختلفتين تجــاه راهن مصر وإرثها الحضاريّ: استثمرْ هذا التّبايُن بين الأنقليزيّ والفرنسيّ في تحديد مقاطع النّصّ.

2 - استعمل «الحكيم» العامل «إنّ» والرّابط «لكنّ»، فما موجبهما في النّصّ؟

3 - إنّ إحساس الفرنسيّ بدور القلب مكوّنا أساسيّا من مكوّنات الذّات جعله يميل إلى التّواصل مع المصريّ ويعتبره كائنا متوازنا. حدّدْ العوامل الّتي رآها الفرنسيّ فاعلة في توازن ذات المصريّ وثرائها.

4 - هل أفلح «مسيو فوكيه» في إقناع «مستر بلاك» بمكانة الموروث المصريّ؟ استخرجْ من النّصّ ما يدلّ على ذلك.

التّفكير وإبداء الرّأي

رأى الفرنسيّ أنّ سبب تحجّر ذات الإنسان الغربيّ وفساد ذوقه تحييد القلب عن آليــات بنــاء الحضارة. عبّرْ عن ذلك في فقرة قصيرة عارضــا مظاهر من هذا الاختلال في بناء حضارة الآخر / الغربيّ.

إنتاج كتابيّ

«إنّ أقصى ما بلغه موقف الغربيّ من الحضارة العربيّة أن اعترف لها بعظمة ماضيها وكنوز تراثها». أنتجْ فقرة من خمسةَ عشَر سطرا تظهر فيها ضرورة معرفة الآخر للتّحاور معه.

نافذة لغويّة

إنّـمَـا

1 - إنّـمَا يَعيشُ بِما يُلقّنُ ويُعَلّمُ في صِغَرِهِ وحَياتِهِ.

إنّـمَــا: أداة قصر. والقصر تخصيص يكون المخصّص - أي عيش الأوروبيّ - مقصورا على التّلقين والتّعليم. والقصر ضرب من ضروب التّوكيد اعتبره بعضهم توكيدا مضاعفا الغاية منه في النّصّ الدّلالة على وجود حوار اختلافيّ بين مستر بلاك ومسيو فوكيه.

إغنـاء

1- تَعَادُلِيّةُ الحكيم

أعترف بالعقل والعلم وحرّيّة الإنسان... ولكن لا يمكن أن أنكر القلب والإيمان.. إنّي لا أعيب على العقل أن يشكّ... لأنّ وظيفة العقل هي الشّكّ... أي الحركة... فإذا انقطع عن الشّـكّ في بحوثه وقوانينه، ووقف عن الحركة في تقليب الحقائق والنّتائج فقد شلّ عمله وانتهى أجله...

أمّا القلب فوظيفته الإيمان: أي الثّبات... فلنترك للقلب إذن أمر تلك الحقيقة الثّابتة الّتي تستعصي على كلّ حلّ وتستبهم على كلّ تعليل...

علـى أنّ الحقيقة الّتي أحبّ أن تسـتقرّ في وضعها الصّحيح، هي أنّي «تعادليّ» أي إنّ إرادة الإنسـان في كفّتها تعادلها الإرادة الإلاهيّة في كفّة أخرى، والعقل البشريّ في كفّة يعادلها الإيمان في كفّة...

كما أنّي لسـت أرى في النّظريّات الأوروبّيّة القائلة بحرّيّة الإنسـان أمام مصيره؛ ما يدعو إلى التّفاؤل... العكس هو الأصحّ... فإنّ فكرة تأليه الإنسان وحده على هذه الأرض كانت في رأيي من الأسباب الّتي أدّت إلى كوارث العالم اليوم...

توفيق الحكيم، «التّعادليّة مذهبي في الحياة والفنّ»،
الدّار التونسية للنّشر، ط. 2، 1988، ص ص 27-29

2- منْ بَاب سوِيقَة إلى مَنْهَاتنْ

لقد عشت في أوربّا وآسيا وأمريكا وعدت إلى بلادي ولم أجد بلاديَ الّتي عرفتها من قبل، تطوّر فيها كلّ شـيء أو كاد، وأشـعر اليوم كأنّي راكب طائرة ينظر إلى الأرض من فوق وإن كانت نظرتي هي نظرة المتذكّر الّذي لا يسـتطيع ولا يحاول أن يتخلّص من ذكرياته ومن ماضيه...

أعيش في واشـنطن ونيويورك وكأنّي لـم أغادرهما بعد، وأنا أعـرف فيهما المعالم والنّاس وأحنّ إليهما كما أحنّ إلى كلّ مدينة عشت بها وامتزجت بأهلها وإنّي لأكتشف وأنا أتأمّلُ في شـريط حياتي وأسـتحضر ذكرياتي وأتحسّـس مشاعري - وقد عشت مع شـعوب مختلفة الأجناس والأديان والثّقافات والألوان واختلطت بمثلي من البشر مـن كلّ صنف في الأمم المتّحـدة - أنّي أصبحت بجانب انتمائـي لوطني وتعلّقي به وحساسـيّتي فيما يتعلّق بحاضره ومصيره مواطنا بشرا أستطيع أن أعيش مع البشر

- مهما كانوا وأينما كانوا - حياتهم العاديّة، أمّا الظّروف الاستثنائيّة الّتي يسطو فيها القويّ على الضّعيف والظّالم على المظلوم ظروف الفوضى والاستبداد فتلك ظروف استثنائيّة... والهجرة عنها أفضل لكلّ إنسان إذا استطاع إليها سبيلا.

وقد قربت المسافات في عالم اليوم ورفعت حواجز كثيرة بين أقطاره واتّصلت أجزاؤها بشبكة المواصلات برّا وجوّا وعن طريق الرّوابط السّلكيّة واللاّسلكيّة والأقمار الصّناعيّة.

الرّشيد إدريس، من باب سويقة إلى منهاتن،
مؤسّسات عبد الكريم بن عبد اللّه، تونس 1980، ص ص 247-248

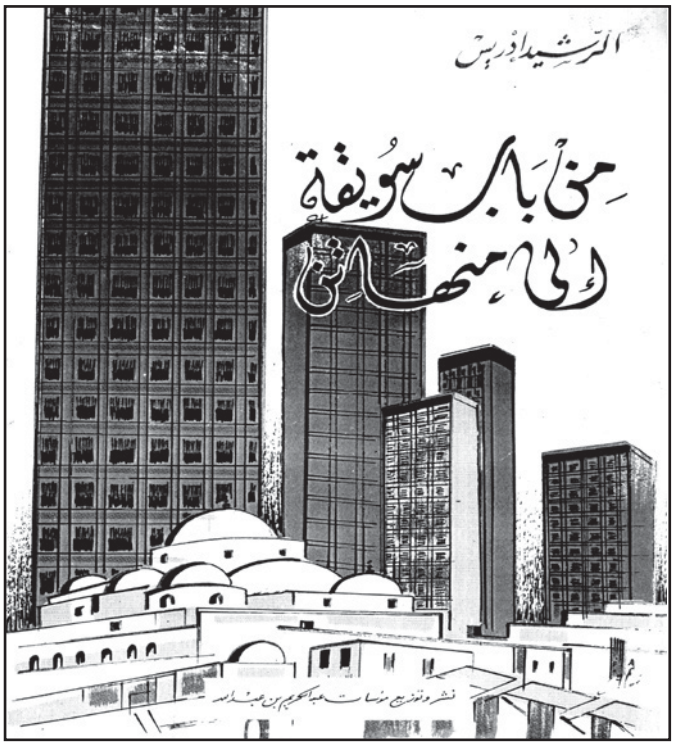

ورقة منهجيّة

تطبيق الخطاطة الحجاجيّة على نصّ «حضَارةٌ مُتجَذّرةٌ»

يعرض النّصّ الأطروحتيْن التّاليتين:

1 **الأطروحة الأولَى:**

الذّوْقُ مَنُوطٌ بالقلْبِ لاَ بالعَقْلِ والعِلْمِ **(المعطى)** ← إذنْ المصْريّونَ أهْلُ ذَوْقٍ (النّتيجة أو الأطروحة)

الضّمان: لأَنّ المصْريّينَ يحْيَوْنَ بِقُلوبِهِمْ لاَ بِعُقولِهِمْ؟

الدّعـم: «أخْرِجْ قلْبَ المصْريّ تَجدْ فيهِ رَواسِبَ آلافِ القُرونِ».

2 **الأطروحة الثّانية:**

الذّوْقُ مَنُوطٌ بالقلْبِ لاَ بالعَقْلِ والعِلْمِ واكْتِسَابِ المعْرفَةِ **(المعطى)** ← إذَنْ الأورُوبّيّونَ لاَ ذوْقَ لَهمْ (النّتيجة أو الأطروحة).

الضّمانُ: [ذَلِكَ أنّ]هُمْ لاَ يَحْيوْنَ بِقُلوبِهِمْ.

الدّعْـمُ: (1) جِئْ بأورُوبّيّ وافْتَحْ قَلْبَه تَجِدْهُ خَاوِيًا...

(2) الأورُوبّيّ إنّما يَعيشُ بِما يُلقّنُ ويُعلّمُ.

(3) العقْلُ آلةٌ محْدودَةٌ.